هويّات وكيانات تختلف اختلافا كلّيّا عن تلك التي تباشرها الأخرى. فالدراسة الآنية تباشر هويّات يحدّدها وجدان المتكلمين بالسليقة لسانا ما. أما الدراسة الزمانية فتباشر هويّات يكتشفها المحلل الذي يقارن بين مرحلتين تاريخيتين ولايشعر بها المتكلم مطلقا [1]. فصار من الواجب التفريق بين النوعين من الدراسة وإيلاء كل منهما منهجا خاصّا ملائمًا لطبيعة الكيانات التي يباشرها. وصار من المسلم به القول إن فرضيات ونتائج المنهج الزماني غير ملائمة لدراسة الهويّات التي يحددها وجدان المتكلمين. ولذلك ابتدعت مفاهيم وتمييزات تعين على دراسة الألسنة من وجهة نظر آنيه من أهمّها التمييز بين اللسان والكلام.

وقد تشبع تمام حسان بهذا المنهج ومارسه من خلال وصفه للهجتين هما لهجة الكرنك بمديرية قنا التي درسها لرسالته التي حصل بها على الماجستير من جامعة لندن ولهجة عدن في جنوب بلاد العرب. وقد حصل بدراستها على الدكتوراه من نفس الجامعة [2] قبل أن يضطلع بالتدريس بالجامعة المصرية.

ولهذه الأسباب لا نستغرب أن يكون كتاب تمام حسان مناهج البحث في اللغة أوّل كتاب يقدّم بالعربية المفاهيم الأساسية لعلم اللسانيات بعد نضجه المنهجي فيما اشتهر بين الدارسين باللسانيات الوصفية وقد صدر سنة 1954 ويمثل كتابه الثاني اللّغة بين المعيارية والوصفية رغم ما فيه من تناول للتراث النحوي العربي عَمَلا مكمّلا لمناهج البحث في اللغة وقد صرح بالعلاقة الوثيقة بين الكتابين في مقدمة الكتاب الثاني [3]. وتوجد علاقة خاصة بين الكتابين الأولين المذكورين و الكتاب الثالث "اللغة العربيّة معناها ومبناها" الذي خصصه لنقد التراث العربي وإعادة صياغته حسب المنهج الوصفي. وبذلك تمثل الكتب الثلاثة الأولى التي ذكرناها وحدة فكرية لم يغفل عن الإشارة إليها في مقدمة العربيّة معناها ومبناها [4]. أما

---

1 المرجع نفسه ص 14/13/12

2 المرجع نفسه ص 13

3 اللغة بين المعيارية والوصفية ص 5/4/3

4 اللغة العربية معناها و مبناها ص 7